3 تاريخ الحضارة الإنسانية

الحضارة الفينيقية

تاريخيا:

الفينيقيون هم من الشعوب السامية التي سكنت في لبنان وسوريا.

نشأة المدن الفينيقية تعود إلى أربعة آلاف سنة ق م وكانت على الساحل الغربي للبحر الأبيض المتوسط، وما زالت عامرة إلى يومنا هذا مثل صور، وصيدا وجبيل وعكا وغيرها.

بلغت ذروة مجدها التجاري في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، حيث كانت اتصالاتها البحرية تشمل مناطق العالم القديم.

استوطنوا فيما بعد السواحل الشرقية لقبرص، وصقلية، وتونس (المدينة العتيقة – يوتيقا، وقرطاج) أين كونوا إمبراطورية يضرب بها المثل في الازدهار والرقي.

لم تتوحد المدن الفينيقية سياسيا، بل تمتعت كل مدينة باستقلالها ونظامها الخاص، وأحيانا تتحالف بعض منها تحت زعامة إحدى المدن الكبيرة بدافع الخوف من أخطار خارجية كانت تهددها.

انقسم الفينيقيون إلى ثلاث طبقات:

الطبقة العليا: وتشمل أهل الحكم والمجالس، مجلس الشيوخ ومجلس الشعب ثم رجال الدين الذين لهم مكانة دينية واجتماعية عالية إضافة إلى قادة الجنود.

طبقة الصناعيين والتجار: كانوا يتجمعون على شكل هيئات مهنية يعرف رئيس كل منها بالرب أو السيد.

الطبقة الثالثة: تشمل عامة الشعب من عمال ومزارعين.

قبل نشأة المدن كان الحكم **قبليا**، حيث يتزعمها شيخ القبيلة، لكن بعد الاستقرار ونمو الزراعة والتجارة تحول النظام إلى **ملكي**، وعرفت بعض المدن النظام **الجمهوري** على نحو قرطاج.

الديانة:

قامت الديانة الفينيقية على عبادة **قوى الطبيعة** كالشمس والقمر والأرض والسماء والبحر والمطر والبرق والرعد، وجعلوا لكل من الحرب والزراعة والملاحة والصيد إلها ودعي **بالبعل**، كما ألهوا ملوكهم وأبطالهم، واعتقدوا بالتثليث الإلهي الأب والأم والابن، وفي مرحلة متقدمة كان الإله **إيل** في كل شيء، وبالتالي يعتبرون أول شعب يؤمن بالإله التوحيدي.

اختلفت الطقوس الدينية من منطقة لأخرى، وكانت العادة أن يكون لكل مدينة ثلاثة آلهة: إله **مسن** يملك القوة والحكمة ويسمى عادة بعلن وإلهة **أنثى** تمثل الحنكة والحياة، وإله **شاب** يمثل النبات والولادة.

أقام الفينيقيون المعابد تمجيدا لآلهتهم وأشهرها معبدي **أدونيس عشتار** في جبيل، وكانت تقدّم فيها الأضاحي إرضاء للآلهة، من ممتلكاتهم الخاصة وأحيانا فردا منهم أو من عبيدهم.

كان لهم موسمان: موسم **الفرح والسرور**، وكان يقام في فصل الربيع رمزا لولادة الإله **أدونيس** من جديد.

موسم **الحزن والكآبة** ويقام في الخريف رمزا لموت الإله.

ومرجع الموسمين قصة مقتل أدونيس من قبل حيوان بري متوحش، حيث أخذ الأهالي يتوسلون للإله **موت** ملك العالم السفلي لإحيائه فكان لهم ذلك.

لم يؤمن الفينيقيون بالحياة الثانية، بل الروح تستقر غير بعيدة عن الجسد الذي تركته وهي في حالة سكون وهدوء.

الانجازات الحضارية:

تعتبر الأبجدية الفينيقية أهم المنجزات الحضارية (أوغاريت، الأبجدية السينائية، وأبجدية جبيل المؤلفة من اثنين وعشرين حرفا والتي تكتب من اليمين إلى اليسار وكانت الأصل الذي اشتقت منه جميع الأبجديات السامية الأخرى.

اشتهر الفينيقيون بعلم الفلك والحساب لما له علاقة بالملاحة والتجارة، وكان القرطاجيون أول من أصدر أوراق النقد على جلود الحيوانات، واستنبطوا خطوط الطول، ودوائر العرض ووضعوها على خرائطهم لتحديد مواقع مستعمراتهم ومحطاتهم التجارية، واكتشفوا النجم القطبي الشمالي لتحديد الاتجاهات. كما ساهموا في تطور علم الجغرافيا نتيجة لرحلاتهم الاستكشافية حول إفريقيا.

وأحسنوا فن العمارة ، ومدوا الشوارع المستقيمة التي تتقاطع مع أخرى بزوايا قائمة، كما عرفوا فن النحت سواء في تجسيد الآلهة أو التوابيت الحجرية، أو المنحوتات الأخرى كالمراكب، وينسب لهم فضل ابتكار الزجاج، كما نبغ الفنانون الفينيقيون في صياغة الذهب والفضة والبرونز والخزف، إلى جانب صناعة الأسلحة، ومختلف آلات الصيد. كما سبكت النقود المعدنية لتتداول في المعاملات التجارية بدلا عن السبائك المعدنية وأوزانها، كما برعوا في صناعة المراكب والسف البحرية التجارية والبحرية.

بدأ الأدب عند الفينيقيين منذ الألف الثلث قبل الميلاد، ويشمل النظم الدينية والقوانين العائلية والسياسية: كالملاحم والأساطير كملحمة عنت وملحمة كيريت، وملحمة دان إيل، وتأثر عنهم اليونانيون حتى في الأبجدية.

أسطورة أدونيس وعشتروت:

كان أدونيس شابا جميلا فأحبته عشتروت ربة السماء وإلهة الحب والجمال فنزلت للعيش معه. كان أدونيس مولعا بالصيد، فخرج ذات يوم للصيد، ورأى خنزيرا بريا فرماه بسهمه، لكن هذا الأخير هاجمه وجرحه جرحا بليغا، فأسرعت إليه عشتروت وأخذت تصب العطور على جرحه فاختلطت الدماء وبالعطور وسالت على الأرض فأنبتت زهرة لونها بلون دم أدونيس ورائحتها برائحة عطر أدونيس وهي زهرة شقائق النعمان.

لم تتمكن عشتروت من إيقاف النزيف فمات أدونيس لكنه أعيد إلى الحياة مجددا إكراما لحب عشتروت.

أسطورة الأميرة أوروبا:

أوروبا أميرة فينيقية، إبنة أجينور ملك صور كانت تتمشى مع وصيفاتها على شاطئ البحر فلاحظها زوس كبير آلهة جبل الأولمب وأعجب بها، فتحول إلى ثور واقترب منها، خافت الفتاة في البداية ثم ما لبثت وأن بدأت تلامس رقبته ثم امتطت ظهره فاتجه بسرعة إلى البحر وهرب بها، ولما وصل إلى جزيرة كريت استعاد شكله وأغرى الفتاة ومن ثمرة علاقته بها ولد له ثلاثة أولاد مينوس ساربيدون وريهادامانت.

دب الحزن على والدها فبعث أبناءه الثلاثة قدموس ، كيليكس وتاسوس رفقة والدتهم تيليفاسا للبحث عن الفتاة وألا يعودوا إلا برفقتها، وبقي معه ابنه فينيكس.

لم يتمكن الأبناء من العثور على أختهم على الرغم من أنهم علموا أهالي الكثير من المناطق الكتابة والأبجدية الفنيقية طمعا في مساعدتهم لهم ، ولم يستطيعوا العودة إلى والدهم لذلك تفرّقوا وأسس كل واحد منهم مدينة كبيرة عاش فيها.

فهذه الأسطورة تعبّر عن فضل الفينيقيين على إدخال الأبجدية عند الإغريق.